الجامع في الهدايات القرآنية

سُورَة الفاتحة

جمع واستنباط

نخبة من الأساتذة وطلاب العلم في التفسير والقراءات والحديث والعقيدة والفقه وأصوله واللغة العربية والتربية والعلوم الطبية غيرها من مختلف دول العالم عبر مجموعة واتساب متخصصة في الهدايات القرآنية

إشراف

أ.د. طه عابدين طه

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

رعاية

كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

ومؤسسة النبأ العظيم الوقفية بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل القرآن الكريم نورا وهدى، وشفاء ورحمة، والصلاة والسلام على نبي الهدى والرحمة، وعلى آله الطيبين، وصحبه الصادين، ومن سار على هداهم إلى يوم الدين.

الموقف في الحياة من اصطفاه الله تعالى فأورثه فهم كتابه والعمل به، ووفقه لصحبته تلاوة واستماعا وحفظاً ومدارسة وتدبراً وتعلماً وتعليما، فمن نعم الله تعالى علينا العظيمة توفيقه لنا في مدارسة جماعية للقرآن الكريم عبر وسيلة حديثة جمع الله تعالى فيها نخبة من أهل المشرق والمغرب، وشتى بقاع الأرض، والنعمة الثانية استمرار هذا العمل لسنوات دون انقطاع، والنعمة الثالثة توفيقه لنا بجمع هذا العمل وترتيبه حتى يستفاد منه.

وهذا العمل العظيم تمَّ في بدايته بمبادرة فردية حول آيات الحج في موسم ١٤٣٧هـ، فلما كتبت عشرات الهدايات القيمة بواسطة المدارسة الجماعية في المجموعة، ورأينا ثماره وبركته، طالب الجميع بأهمية استمرار هذا العمل القيم المفيد، وتم الاتفاق على البدء من بداية القرآن الكريم من سورة الفاتحة على أن يكون في كل يوم آية واحدة، ولما كثرت هذه الهدايات وتوسع العمل سُعي في جمع ما كتب وتلخيصه حتى لا يضيع هذا الجهد المثمر، فتمَّ التشاور مع كرسي الملك عبد الله في جامعة أم القرى، ثم كرسي الهدايات القرآنية بعد ذلك، ومركز النبأ العظيم بمكة، وطلب منهم رعاية هذا العمل حتى يرى النور، ومما يسر ذلك وجود مشرف الكرسي الأستاذ الدكتور يحيى زمزمي أستاذ الكرسي، والأستاذ الدكتور محمد الربيعة المشرف على مركز النبأ معنا في المجموعة منذ البداية، فحظينا بموافقتهم الكريمة، وتم عقد ورشة في مكة حضرها نخبة من المتميزين المشاركين، خلص الاجتماع إلى نتائج أسهمت في تطوير هذا العمل بصورة كبيرة، حيث تم تكوين لجنة إشرافيه من الأستاذ الدكتور طه عابدين، والشيخ الدكتور محمد البدور، والشيخ الدكتور عبد الله عبد العزيز عبد الباقي، وأسند أمر تلخيص الهدايات للشيخ الدكتور أحمد رشاد، كما تم مراجعة الأهداف والموجهات والخصائص التي تلخصت في الآتي:

أولا: هدف المجموعة:

مدارسة آية قرآنية واحدة في اليوم مدارسة جماعية لاستخراج ما فيها من فوائد وهدايات ثم تلخصها ونشرها، حتى يتم مدارسة جميع القرآن الكريم بإذن الله تعالى، بهدف تحقيق سعادة وصلاح الإنسان بهدى القرآن الكريم بعد تيسير هداياته للفهم والعمل.

ثانيا: موجهات عامة ومهمة للمجموعة:

١) الكتابة تكون في الهدايات التي هي ثمرة فهم المعنى دون التفسير الذي هو لتوضيح المعنى.

٢) لا تقبل أي مشاركة لا تتوافق مع أهداف المجموعة مهما كانت قيمتها العلمية حفاظاً على قداسة القرآن وخصوصية المجموعة.

٣) كلُّ ما يكتب في المجموعة لا مانع من الزيادة والاستدراك والتعقيب عليه بطريقة علمية هدفها بيان الحق وتحرير المسائل بعيدة عن الجدل العقيم الذي يوغر الصدور ويؤدي إلى مباعدة النفوس.

٤) الحرص على مشاركة الجميع وهو من أعظم أبواب التعاون على البر والتقوى، وبه تتحقق ما ورد من فضائل عظيمة في تعلم القرآن ومدارسته.

٥) التعزية بين أفراد المجموعة والمناسبات الاجتماعية تكون في الخاص، وليس في المجموعة.

ثانيًا: خصائص هذه المجموعة:

تتميز هذه المجموعة بميزات خاصة جعلت لها قيمة عالية، من ذلك:

١) حشد أكبر عدد من المختصين في العالم للاستفادة من خبراتهم المتنوعة حيث بلغ عددهم أكثر من مئتين وخمسين عضوا من أكثر من خمسين دولة.

٢) استثمار الوسائل الحديثة في خدمة القرآن الكريم وهداياته.

٣) سهولة وسرعة الاستفادة والافادة مع بعد المسافات بأقل جهد وتكلفة وأقصر زمن.

٤) توظيف المعارف والعلوم المتنوعة في مدارسة القرآن الكريم.

٥) العمل على معالجة مشكلات الواقع في ضوء هدايات القرآن الكريم.

٦) التشجيع على التفكير والفهم والتدبر العميق للآيات.

٧) تطوير قدرات المشاركين بكل سهولة ويسر من خلال المدارسة الجماعية المستمرة.

٨) التعبد بتدارس آيات الذكر الحكيم كما أمر الله تعالى خلال (٢٤ ساعة).

٩) التحكيم المباشر للفوائد وما يكتب من هدايات.

١٠) بناء شبكة علاقات واسعة ومتنوعة بين المهتمين بالهدايات القرآنية في جميع دول العالم، والاستفادة من هذه العلاقة في نشر الهدايات القرآنية.

ثالثًا: منهج كتابة الهدايات في المجموعة:

١) الاختصار وجودة الصياغة بما يوضح الفكرة ويجمع المتفرق.

٢) تجنب التكرار فيما ينقل ويستنبط من هدايات.

٣) ذكر الهدايات يحبذ أن تكون حسب ترتيب ألفاظ الآية.

٤) بيان موضع الدلالة لما يذكر من هدايات خاصة الخفية.

٥) توثيق المعلومات لما ينقل من هدايات ما أمكن.

٦) عدم الخروج من دلالات الآية وإن كان المعنى صحيحًا في نفسه.

٧) السعي لاستيعاب كل ما في الآية من آفاق في الهدايات.

رابعًا: ما تحقق من المجموعة:

١) التواصل اليومي بين نخبة من المختصين والمهتمين بالهدايات كتابة وقراءة من مختلف دول العالم.
٢) الممارسة العملية لمشروع الهدايات، والسعي للربط بين التأصيل والتطبيق.
٣) نشر ثقافة الهدايات وطرق الوصول إليها.
٤) استثمار العقول المتميزة في تدبر كلام الله للوصول للهدايات.
٥) بناء قدرات الشباب خاصة طلاب الدراسات العليا.
٦) توفير منتج علمي متميز للنشر.
٧) توفير مادة دعوية مفيدة جدًا يمكن الاستفادة منها في عمل محاضرات وخطب وندوات.
٨) وجود مجموعة عالمية تعمل في تدبر القرآن الكريم خلال ٢٤ ساعة.

وهذه أول باكورة ما ينشر من أعمال هذه المجموعة، وننشره في هذه المرحلة لهدفين الأول: ليستفيد منه طلاب الموسوعة العالمية في الهدايات القرآنية ويوثقوا منه ما نقلوه، والثانية :حتى يكون متاح لأعضاء المجموعة للمراجعة والتصحيح واستكمال ما بدأ لهم، وقد بذلنا في تلخيصه ومراجعته آلاف الساعات وما زلنا نرى أنه بحاجة لجهد مضاعف، فرحم الله تعالى من عمل معنا في تسديد الخلل والنقص وتصويب الخطأ، وتجويد هذا العمل حتى يخرج في الصورة التي تليق بكلام الله تعالى في النهائية، ولولا شدة الملاحقة والإصرار من البعض لتركنا نشره الآن لمزيد من المراجعة والتدقيق.

وسوف نعمل على نشر كل ما ينتهي من أحزاب وسور تباعاً بإذن الله تعالى حتى نكمل مدارسة القرآن الكريم كاملا، كما سوف ننشر أسماء كل من شارك في المجموعة باسمه وتخصصه ودولته فيما بعد بإذن الله تعالى إثباتاً لحقهم العلمي كذلك؛ لأن هذا العمل سهرت فيه عيون كثيرة من شتى بقاع الأرض، وآخرين عملوا في صمت لم يحبوا حتى ذكر أسمائهم، وهذا الاجتماع والاصفاء لهذه المجموعة نعمة ومنة ربانية عظمية تستوجب الشكر، وهو في ظني من أكبر الأعمال العالمية الجماعية بطريقة مبسطة نافعة.

سائلين الله تعالى أن يتقبل هذا الجهد وينفع به، ويسخر له من يقوم بخدمته وطباعته، ونشره، وترجمته.

كلمة مشرف المجموعة
أ.د. طه عابدين طه

قال تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[الفاتحة: ١].

١- تفيد أن البدء باسم الله تعالى في جميع أمور العبد هو السنة والهدي القرآني وهو من كمال ارتباط القلب بالله تعالى واعتماد عليه.

٢- تفيد أن معرفة العبد ألوهية الله تعالى وأسمائه وصفاته من خلال البدء باسمه استعانة وتبركًا من أعظم الطاعات وأجل القربات، وبه بدأ الله تعالى أول آية من كتابه.

٣- تفيد أنه يجب على العبد علمه بحاجته المستمرة لرحمة الله التي بدون طلبها فهو في خطر عظيم، فإذا شرع الابتداء بها عند قراءة أعظم كلام وأفضله، فكيف بما سواه.

٤- تفيد أن على العبد عند قراءته لأي سورة من سور القرآن الكريم أن يعلم أنه يلج باب رحمة الله من خلال كلامه الذي جعله رحمة وهدى للناس، فليستكثر أو ليستقلل.

٥- تفيد أن هذا العالم كله مظهر من مظاهر رحمة الله تعالى، وقد شملت رحمته كل شيء من مخلوقاته، ولكن كمال ذلك متحقق للمؤمنين.

٦- يفيد تكرار معنى الرحمة بصيغتين مختلفتين القول بأن رحمان متعلقة بجميع الخلق حتى الكافر في الدنيا، ورحيم متعلقة بالمؤمنين.

٧- تفيد أنه ينبغي على العبد نشر خلق الرحمة والتراحم، وتطبيقها على نفسه وعلى مجتمعه المحيط به لأنها صفة الله والله يحب اتصاف العبد بهذه الصفة؛ بل بها يستجلب ويستدعي رحمة الله عليه، فالراحمون يرحمهم الرحمن.

٨- تفيد أن من أعظم أسماء الله تعالى والتي لا يشاركه فيه مخلوق اسمي (الله) و(الرحمن) فحري بالمسلم أن يدعو بهما وأن يلهج لسانه بذكرهما، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ ...﴾.

٩- يفيد الابتداء بـ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في أول الفاتحة براعة استهلال، فما دلت عليه كل آية من الآيات الأخرى في الفاتحة، فإن في البسملة ما يشير إليها، فحق أن تكون البسملة هي الفاتحة لكتاب الله تعالى، وأن تكون هي الفاتحة لكل عمل يعمله العبد في حياته، حتى يكون اللسان منبه للجنان بوجوب الإخلاص لله في سائر أموره، فسبحان الله ما ألطف كلامه وأدق فوائده وهداياته.

١٠- في إعادة هاتين الصفتين ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في السورة، وإعطائهما آية مستقلة دلالة على عظم منزلتهما بين أسماء الله وصفاته، ولهذا استنبط بعض العلماء أنهما مع لفظة الجلالة ﴿ٱللَّهِ﴾: اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب. وهذا واضح في البسملة حيث جمعتها الآية الكريمة.

١١- تفيد الآية ردا على المشركين في البدء بغير اسمه؛ إذ كان متعارفا لديهم البدء: باسمك اللهم، دون بسم الله الرحمن الرحيم، وأكبر دليل على ذلك ما حصل في كتاب المقاطعة بين بني هاشم وقريش.

١٢- تفيد هذه الآية عراقة هذه الجملة حيث إنها كانت موجودة في الأديان السماوية السابقة، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وفي ذلك إشارة خفية إلى أن ما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو امتداد لما كان موجودا عند الأنبياء السابقين.

١٣- تفيد الآية مع قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ على أنه يجوز كتابة هذه الآية في الرسائل المرسلة إلى الكفار، وأنه لا بأس بقراءة الكفار لها.

١٤- تفيد الآية مع قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ بقياس الأولى أنه لا بأس بقراءة الجنب لها من هذه الأمة، ويدل عليه الحديث النبوي الشريف: «كان يذكر الله في كل أحيانه»، وفي المسألة خلاف بين أهل العلم.

١٥- يفيد عدم ذكر المتعلق بالجار والمجرور في ﴿بِسۡمِ﴾ إشارة إلى أن الأعمال بالنيات، وأن مكانها القلب، فلا حاجة إلى الانشغال بالتلفظ بها وذكرها باللسان، فيكفي عنها أن تستحضر ذكر اسم الله عليها.

قال الله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[الفاتحة:٢].

١٦- تفيد إثبات وجود الله؛ لأن المعدوم لا يحمد.

١٧- تفيد إثبات الكمال المطلق لله وتنزه عن النقص، كماله في أسمائه وصفاته وأفعاله، مع تنزيهه عن كل عيب ونقص في أسمائه وصفاته وأفعاله؛ لأن الناقص العاجز لا يحمد.

١٨- تفيد كيفية حمد الله والثناء عليه ومحبته وتعظيمه، فالله حمد نفسه ليعلم عباده كيفية حمده، ولأن الحمد هو الثناء مع التعظيم والمحبة.

١٩- تفيد إثبات الحمد الكامل، والثناء التام لله ﷻ؛ لأن الألف واللام في ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ لاستغراق جميعِ المحامد، فله الحمد الكامل، والثناء التام لله ﷻ؛ لأن الألف واللام في ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ لاستغراق جميعِ المحامد.

٢٠- تفيد أن الله تعالى كما هو مستحق لجميع أجناس المحامد، فهو مختص به من جميع الوجوه؛ لأن اللام في لفظ الجلالة ﴿لِلَّهِ﴾ للاختصاص والاستحقاق، كما يقال: الدار لزيد؛ فإن من عرف أن الله جل وعلا له كل كمال، ومنه كل نعمة، علم أنه المستحق لكل حمد ومحبة وتعظيم، فهو مصدر الحمد، وإليه مرجع الحمد، فصفاته أجل الصفات، وإحسانه عم الكائنات.

٢١- تفيد عظمة هذه الكلمة وفضلها والتي هي أحق كلمة تقال، وهي التي تملأ الميزان، ولذا وضعها الله في مقدمة كلامه المنزل وقد جاء في حديث مسلم عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ. وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ – أَوْ تَمْلأُ – مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ... ».

٢٢- تفيد أن حمد الله والثناء عليه سبحانه هو أول ما يبدأ به في خير الامور والأعمال.

٢٣- تفيد افتتاح الله تعالى كتابه الكريم بـ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ ذم وتوبيخ وتسفيه المشركين والكفار الذي يحمدون آلهتهم التي لا تنفع ولا تضر، ولا يخلقون شيئا وهم يخلقون.

٢٤- تفيد أنه ينبغي للحامد والشاكر أن يصرح باسم المُنْعم العَلم، قبل الوصف؛ ليكون صريحًا في قصده بالشكر، ويخصصه به.

٢٥- تفيد أن في افتتاح كتاب الله تعالى بالحمد له، فيه غرس لقلوب العباد روح التفاؤل وحسن الظن بالله تعالى، فبالرغم من المشاكل والمصاعب والأزمات التي يمر بها العبد إلا أن حمد الله تعالى يجلو ويذهب كل تلك الأمور، فسبحان من لا يحمد على مكروه سواه.

٢٦- تفيد ثبوت الحمد ودوامه واستمراره لله تعالى في كل الأحوال من خلال الجملة الاسمية التي تدل على ذلك، ولا يحمد في كل حال غيره جل وعلا.

٢٧- تفيد ثبوت المحبة للمنعم؛ فلا يحمد إلا من استشعر عظيم الإنعام، فأحب المنعم؛ فحمده وأثنى عليه.

٢٨- تفيد إثبات أن كل ما يمكن أن يحمد عليه سواه عز وجل هو صاحب الحمد الحقيقي فيه.

٢٩- تفيد أن أول ما يجب على العباد هو حمد الله.

٣٠- تفيد أنه لا يحصي العبد كمال حمد ربه ولذلك حمد الله نفسه أولا. وقال النبي عليه السلام «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

٣١- تفيد أن حمد الله تعالى نفسه نيابة عنا ليرفع عنا ثقل المنة.

٣٢- تفيد أن على المربين أن يستفيدوا من أسلوب القرآن في تعليم العباد، وأن يكونوا قدوة لمن يربونهم ويعلمونهم، فالله عز وجل في فاتحة كتابه لم يبدأ بأوامر مثل: احمدوني فأنا مستحق للحمد، وإنما حمد نفسه ليقتدي بحمده خلقه.

٣٣- تفيد الآية توجيه العباد إلى البدء بالحمد فيما يتعلق بصلتهم بربهم كالصلاة والدعاء.

٣٤- تفيد أن الله تعالى مستحق لكمال الحمد لله لما له من كمال الصفات، وكمال النعمة على خلقه الذي في مقدمته بأنه رب العالمين، فهو الخالق المدبر المتصرف في خلقه بما يشاء لا شريك له ولا ظهير ولا معين.

٣٥- تفيد عموم ربوبية الله تعالى لجميع العالم لقوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، وبيان أزليته؛ فإنه الأول الذي ليس قبله شيء.

٣٦- تفيد أن هذا الحمد ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ هو أوسع حمد في القرآن الكريم؛ لأنه شمل جميع الخلق وجميع النعم الظاهرة والباطنة.

٣٧- تفيد كمال غنى الله تعالى وفقر جميع الخلق إليه فهو الخالق وغيره مخلوق، وهو المعطي وغيره الآخذ.

٣٨- تفيد اتصافه بجميع صفات الكمال من الخلق والعلم والقدرة والحكمة وغيرها وإلا لم يكن ربا للعالمين.

٣٩- تفيد كمال ربوبيته لخلقه حيث خلقهم ورزقهم وحفظهم ورباهم أكمل تربية بما أنزله إليهم من هديه القويم.

٤٠- تفيد عظمة الله تعالى؛ لأن عظم الخلق من سماوات وأرض وجبال وبحار وأشجار وأنس وجن وغيرها كثير يدل على عظمته وكماله جل وعلا.

٤١- تفيد وجوب إفراده جل وعلا بالألوهية، توحيد العبادة؛ لأن الإقرار بتفرده بالربوبية يستلزم إفراده بالألوهية.

٤٢- تفيد أن النعم تستوجب الحمد لله تعالى، لأن الله تعالى علمنا كيف نحمده ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ ولماذا نحمده ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

٤٣- تفيد أن التفكر في مخلوقات الله تعالى تؤدي إلى حمد خالقها ومالكها ومدبر شؤونها.

٤٤- تفيد الرَّدّ عَلَى مَنْ قَالَ بِقِدَمِ الْعَالم، إذ أن الْعَالَمَ هو كُلُّ مَا سِوَى الله، وأن كل مَا سِوَاهُ مَرْبُوبٌ، وَالْمَرْبُوبُ مَخْلُوقٌ بِالضَّرُورَةِ، فَإِذًا رُبُوبِيَّتُهُ تَعَالَى لِكُلِّ مَا سِوَاهُ تَسْتَلْزِمُ تَقَدُّمَهُ عَلَيْهِ.

٤٥- تفيد أنه ينبغي لمن أراد أن يشكر ويمدح أن يثبت سبب استحقاقه لذلك؛ فالله عز وجل عندما أراد من العباد أن يحمدوه بين لهم سبب استحقاقه لذلك الحمد.

٤٦- يفيد مجيء ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ دون (خالق العالمين) و(موجدهم) إشارة خفية إلى أنه سبحانه وتعالى رب العالمين منذ أن كانوا من العدم إلى أن خلقوا في هذا الوجود إلى أن يستقر كل فريق في الجنة أو في النار، فالرب مأخوذ من التربية والنماء والانتقال من طور إلى طور، وفي هذا إشارة خفية ولطيفة إلى أنه سبحانه وتعالى يربي دوما خلقه بالنعم الظاهرة والباطنة، وينقلهم من طور إلى طور ومن مرحلة إلى مرحلة أخرى، فسبحان من له الحمد في الأولى والآخرة.

٤٧- تفيد الآية ثبوت الاعتراف بالنعم وعلى رأسها نعمة القرآن والشرع، وإظهار الحب للمنعم بشكره والثناء عليه بما هو أهله.

٤٨- يفيد الافتتاح بـ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ لكتاب الله تعالى الذي هو خبر متضمن لمعنى الإنشاء إشارة إلى أن جميع العالمين يسبحون بحمده بلسان الحال أو بلسان المقال، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾. وفي التعبير بالخبر دون الإنشاء إشارة إلى أن الله عز وجل غني عن حمد العالمين بلسان مقالهم، إذ أن كل جوارحهم معترفة وناطقة بحمد الله تعالى.

٤٩- تفيد دعوة رقيقة لغير المسلمين للتعرف على الخالق من خلال فيض إنعامه ورحمته بخلقه.

٥٠- تفيد أن كل ما يحمد للعبد من الصفات والأفعال فالله أولى بالحمد عليه فهو رب العالمين؛ وإن من ربوبيته العطاء، فهو الذي منح بعض العباد ما يحمدون عليه، فاستحق الحمد أولا وآخرا.

٥١- يفيد تذييل ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ بعد ذكر الحمد لله إشارة لطيفة إلى أنه ينبغي للعبد أن يستحضر عند حمد ربه عدد هؤلاء العالمين، وقد ثبت في الأحاديث:« سبحان الله وبحمده عدد خلقه...».

٥٢- يفيد جمع العالم بصيغة العقلاء ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ دون العوالم إشارة خفية إلى أهمية العقل، ومكانة العقلاء عند ربهم، وأنه ينبغي أن يكون من سيما العقلاء حمد الله تعالى والاعتراف بالعبودية لله تعالى، والاعتراف بأنه رب العالمين السابقين واللاحقين.

٥٣- تفيد أن الله تعالى مستحق الحمد لذاته وجلاله وعظيم صفاته.. وإن لم يسد لعباده شيئا من النعم، فكيف وهو الذي أسدى إليهم من النعم ورباهم عليها قدرا وشرعا.

٥٤- تفيد ذكر الحمد وذكر الربوبية، دلالة على لزوم توحيد الألوهية والعبودية، فإن من أقر بتفرد الله تعالى بالربوبية واستحقاق الحمد، يلزمه افراد الله تعالى بالعبودية.

٥٥- تفيد ذكر الربوبية، إشارة الى تربية الله لخلقه ورعايته لجميع مصالح، ومنها التربية القدرية بالخلق والاحياء والرزق، وغير ذلك، والتربية الشرعية ببعث الرسل وإنزال الكتب وبيان الهدى والضلال والحق والباطل.

٥٦- تفيد الآية عظيم ما أنعم الله به على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد ولا يحيط بعددها غيره أحد.

٥٧- تفيد كونه رب العالمين أنه لم يترك عباده هملا فاقتضى ذلك أنه عرفهم ما ينفعهم وما يضرهم في معاشهم ومعادهم.

٥٨- تفيد الآية شمول أنواع التربية، ومنها تربية الأجسام إلى أن تبلغ درجة الأشد وتنمية القوة النفسية والعقلية والدينية.

٥٩- يفيد قوله ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ استشعار العبد لضعفه وأنه مخلوق من بين هؤلاء العالمين، فيبعثه ذلك على معرفة نفسه وتعظيم ربه.

٦٠- يفيد ابتداء القرآن بالحمد وذكر الربوبية دلالة على أهمية تقوية للأركان التي تقوم عليها العبادة وهي (المحبة والخوف والرجاء) فذكر الحمد الدال كمال وجلال المحمود، يقوي دواعي المحبة والرغبة والرجاء.. وأما ذكر الربوبية الدالة على القدرة والهيمنة والتصرف، ففيه تقوية لدواعي

الخوف والخضوع.. فكأن تقوية هذه الجوانب جاء مناسبا لتهيئة العباد للانقياد والقبول لما يحويه هذا الكتاب العزيز من أمر ونهي.

٦١- تفيد أن في الحمد لله بعثا للطمأنينة والرضا مهما كان القضاء، وتفيد ربوبية الله للعالمين لطفا ورحمة بهم.

٦٢- يفيد افتتاح كتاب الله تعالى بـ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ لكون الرسالة المحمدية هي خاتمة الرسائل السماوية وكتابه المنزل خاتمة الكتب السماوية، فكان مناسبا افتتاح الكتاب بالحمد لله رب العالمين حمدا لله على ظهور هذه النعمة الكبرى والرحمة العظمى للعالمين، وتعليما للأمة كيف يحمدون الله على هذه النعمة، فكانت الفاتحة مطلوبة في كل ركعة لتذكرنا بهذه النعمة العظيمة فنحمد الله تعالى عليها.

٦٣- تفيد الآية أن لله تعالى حق التشريع وحده بما ينتظم به أمر العالمين.

٦٤- تفيد الآية بأنه ليس أحد أحب إليه المدح من الله عز وجل من أجل ذلك مدح نفسه بوصف رب العالمين.

٦٥- تفيد جملة ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ عظمة الله تعالى؛ فإن من أصعب المهام التي يعانيه رب الأسرة في حياته وهي تربية أولاده فبالرغم من قلة عددهم يعاني في ذلك أشد المعاناة، والله عز وجل وهو رب العالمين، لم يمسه لغوب وتعب في ذلك.

٦٦- يفيد تقديم وصف الله بالألوهية على وصفه بالربوبية؛ وهذا إما لأن "الله" هو الاسم العَلَم الخاص به، والذي تتبعه جميع الأسماء، وإما لأن الذين جاءتهم الرسل ينكرون الألوهية فقط.

٦٧- تفيد إثبات رب ومربوب، مما يدل على التباين بين الخالق والمخلوق، ويكون فيه رد على قول أهل الإلحاد القائلين بوحدة الوجود.

٦٨- تفيد الحث على شكر الله تعالى على نعمه من الخلق والرزق والحفظ والهداية وغيرها، وشكر الله على نعمه من أعظم العبادات التي ينبغي أن يتربى عليها المسلم.

٦٩- تفيد تربية للنفوس على شكر الجميل، وحمد المنعم، ورعاية حقوق أصحاب الفضل، وعلى رأسهم الذي منه كل نعمة وبيده كل خير، وأن الأمة التي تعرف فضل

ربها وتشكره، ثم تعرف فضل الفضلاء من البشر لهي أمة خيرية، ومن هنا كان الحمد عنوان صلاح وفلاح.

٧٠- تفيد أنه ينبغي وصف المحْسن بأعم صفات إحسانه؛ لأن ذلك أبلغ في المدح، وأدعى للشكر، لأن لفظ العالمين جمع يدل على تعدده.

فوائد عامة:

١) **فائدة:** في تقديم ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ على اسم الجلالة ﴿لِلَّهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾. بينما قدم الضمير في ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾

قال الرازي –رحمه الله–: «الْجَوَابُ أَنَّ قَوْلَهُ الْحَمْدُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ وَلِغَيْرِ اللَّهِ فَإِذَا قُلْتَ لِلَّهِ فَقَدْ تَقَيَّدَ الْحَمْدُ بِأَنْ يَكُونَ لِلَّهِ أَمَّا لَوْ قَدَّمَ قَوْلَهُ «نَعْبُدُ» احْتَمَلَ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ وَاحْتَمَلَ أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِ اللَّهِ وَذَلِكَ كُفْرٌ، والنُّكْتَةُ أَنَّ الْحَمْدَ لَمَّا جَازَ لِغَيْرِ اللَّهِ فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ كَمَا جَازَ لِلَّهِ، لَا جَرَمَ حسن تقدم الحمد أما هاهنا فَالْعِبَادَةُ لَمَّا لَمْ تَجُزْ لِغَيْرِ اللَّهِ لَا جَرَمَ قَدَّمَ قَوْلَهُ إِيَّاكَ عَلَى نَعْبُدُ، فَتَعَيَّنَ الصَّرْفُ لِلْعِبَادَةِ فَلَا يَبْقَى فِي الْكَلَامِ احْتِمَالُ أَنْ تَقَعَ الْعِبَادَةُ لِغَيْرِ اللَّهِ». مفاتيح الغيب (١/ ٢١٢)

٢) **فائدة:** أيهما أشمل وأعم ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ أم (سُبْحَانَ اللهِ)؟.

قال الرازي: « الْحَمْدُ لِلَّهِ يَدْخُلُ فِيهِ مَعْنَى قَوْلِنَا سبحان الله لأن قوله (سبحان اللَّهِ) يَدُلُّ عَلَى كَوْنِهِ كَامِلًا تَامًّا فِي ذَاتِهِ، وَقَوْلُهُ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ يَدُلُّ عَلَى كَوْنِهِ مُكَمِّلًا مُتَمِّمًا لِغَيْرِهِ، وَالشَّيْءُ لَا يَكُونُ مُكَمِّلًا مُتَمِّمًا لِغَيْرِهِ إِلَّا إِذَا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ تَامًّا كَامِلًا فِي ذَاتِهِ». مفاتيح الغيب (١/ ٢١٠).

٣) **فائدة:** جاء حمد الله في مفتتح خمس سور: اثنتان في النصف الأول الفاتحة والأنعام، واثنتان في النصف الثاني سبأ وفاطر، وواحدة في المنتصف الكهف، ويمكن أن نقول بداية كل ربع – تقريبا – استُهلت بحمد الله، ففي النصف الأول والثاني تعلق الحمد بربوبية العالمين وبخلق السموات والأرض، وفي المنتصف تعلق بما يقيم أمر السموات والارض وأمر العالمين.. وهو أنزال الكتاب.

٤) **فائدة:** جاء في موقع الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله هذا الجواب عن سؤال ورد إليه.

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم سلمه الله وتولاه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

كتابكم الكريم المؤرخ في ١٣٨٦/٣/٢٣هـ وصل وصلكم الله بهداه، وما تضمنه من السؤال عما قاله بعض الخطباء في خطبة الجمعة من الحث على الاتصاف بصفات الله، والتخلق بأخلاقه هل لها محمل، وهل سبق أن قالها أحد.. إلخ كان معلومًا؟.

والجواب: هذا التعبير غير لائق، ولكن له محمل صحيح، وهو الحث على التخلق بمقتضى صفات الله وأسمائه وموجبها، وذلك بالنظر إلى الصفات التي يحسن من المخلوق أن يتصف بمقتضاها، بخلاف الصفات المختصة بالله كالخلاق والرزاق والإله ونحو ذلك، فإن هذا شيء لا يمكن أن يتصف به المخلوق، ولا يجوز أن يدعيه، وهكذا ما أشبه هذه الأسماء، وإنما المقصود الصفات التي يحب الله من عباده أن يتصفوا بمقتضاها، كالعلم والقوة في الحق، والرحمة والحلم والكرم والجود والعفو وأشباه ذلك، فهو سبحانه عليم يحب العلماء قوي يحب المؤمن القوي، أكثر من حبه للمؤمن الضعيف، كريم يحب الكرماء، رحيم يحب الرحماء عفو يحب العفو، إلخ، لكن الذي لله سبحانه من هذه الصفات وغيرها أكمل وأعظم من الذي للمخلوق، بل لا مقارنة بينهما؛ لأنه سبحانه ليس كمثله شيء في صفاته وأفعاله، كما أنه لا مثيل له في ذاته، وإنما حسب المخلوق أن يكون له نصيب من معاني هذه الصفات، يليق به ويناسبه على الحد الشرعي، فلو تجاوز في الكرم الحد صار مسرفا، ولو تجاوز في الرحمة الحد عطل الحدود والتعزيرات الشرعية، وهكذا لو زاد في العفو على الحد الشرعي وضعه في غير موضعه، وهذه الأمثلة تدل على سواها، وقد نص العلامة ابن القيم رحمه الله على هذا المعنى في كتابيه: (عدة الصابرين) و(الوابل الصيب) ولعله نص على ذلك في غيرهما كـ(المدارج) و(زاد المعاد) وغيرهما، وإليك نص كلامه في العدة والوابل، قال في العدة صفحة ٣١٠: (ولما كان سبحانه هو الشكور على الحقيقة، كان أحب خلقه إليه من اتصف بصفة الشكر، كما أن أبغض خلقه إليه من عطلها، أو اتصف بضدها، وهذا شأن أسمائه الحسنى، أحب خلقه إليه من اتصف بموجبها، وأبغضهم إليه من اتصف بأضدادها، ولهذا يبغض الكافر والظالم والجاهل، والقاسي القلب والبخيل والجبان، والمهين واللئيم، وهو سبحانه جميل يحب الجمال، عليم يحب العلماء، رحيم يحب الراحمين، محسن يحب المحسنين، ستير يحب أهل الستر، قادر يلوم على العجز، والمؤمن القوي أحب إليه من المؤمن الضعيف، فهو عفو يحب العفو، وتر يحب الوتر، وكلما يحبه فهو من آثار أسمائه وصفته وموجبها، وكلما يبغضه فهو مما يضادها وينافيها). وقال في (الوابل الصيب) صفحة ٤٣ من مجموعة الحديث: (والجود من

صفات الرب جل جلاله، فإنه يعطي ولا يأخذ، ويطعم ولا يطعم، وهو أجود الأجودين، وأكرم الأكرمين، وأحب الخلق إليه من اتصف بمقتضيات صفاته، فإنه كريم يحب الكرماء من عباده، وعالم يحب العلماء وقادر يحب الشجعان، وجميل يحب الجمال) انتهى.

قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٣-٤].

أولا: قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾:

٧١- تفيد أن صفات الله تعالى تدور بين الإجلال الذي دل عليه ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، والإكرام الذي دل عليه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ فلما تحدث عما يدل على جلاله وعظمته تحدث بما يدل على إكرامه ورحمته.

٧٢- تفيد ثبوت صفة الرحمن وكثرتها لله تعالى، لأن رحمن على وزن فعلان تفيد الكثرة، ورحيم على وزن فعيل تدل على ثبوت هذه الصفة لله تعالى، مثل سميع وعليم.

٧٣- تفيد أن من أسماء الله تعالى وصفاته: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

٧٤- تفيد وجود هذه الأسماء والصفات في بداية القرآن ما يبعث على حسن الرجاء، وعدم القنوط من رحمته جل وعلا مهما حدث من العبد من تفريط.

٧٥- يفيد قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ احتياج العالمين لرحمته جميعا في الدنيا لذا ناسبت ما قبلها.. و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ يحتاجه أهل الإيمان يوم الدين في الآخرة فناسبت ما بعدها.

٧٦- يفيد إعادة هاتين الصفتين ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في السورة، وإعطائهما آية مستقلة دلالة على عظم منزلتهما بين أسماء الله وصفاته، ولهذا استنبط بعض العلماء أنهما مع لفظ الجلالة (الله) تضم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب. وهذا واضح في البسملة حيث جمعتها الآية الكريمة.

٧٧- تفيد أن على العبد أن يعلم أن هذا العالم كله مظهر من مظاهر رحمة الله تعالى، وشملت رحمته كل شيء من مخلوقاته.

٧٨- يفيد تكرار معنى الرحمة بصيغتين مختلفتين على أن رحمة الله شملت كل شيء، حتى الكافر في الدنيا.

٧٩- تفيد أنه ينبغي على العبد نشر خلق الرحمة والتراحم، وتطبيقها على نفسه وعلى مجتمعه المحيط به.

٨٠- تفيد أن رحمة العبد بمخلوقات الله تعالى بها يستجلب ويستدعي رحمة الله عليه، فالراحمون يرحمهم الرحمن.

٨١- تفيد أن من أعظم أسماء الله تعالى والتي لا يشاركه فيها مخلوق اسم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾، فحري بالمسلم أن يدعو به وأن يلهج لسانه بذكره، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾.

٨٢- يفيد ذكر ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ بعد ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ إشارة إلى أن الله تعالى خلق العالمين لرحمته إلا أن منهم من أجاب دعوته فاستحق رحمته، ومنهم من رفض الدعوة فاستحق عقوبته، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ وقال تعالى: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡ﴾.

ثانيا: قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾:

٨٣- تفيد إثبات البعث والحساب والجزاء، وكل ما جاء مفصلا في القرآن الكريم عن يوم القيامة وتوابعه.

٨٤- تفيد أن من أسماء القيامة: (يوم الدين)، وقد ذكرت له أسماء أخرى في القرآن كلها تدل على هوله وشدته.

٨٥- تفيد أن الإنسان يدين لعمله يوم القيامة؛ ولذا سمي بـ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾.

٨٦- تفيد أن الله تعالى هو الحكم الذي لا يعقب أحد على حكمه في ذلك اليوم الذي له وحده الملك والحكم والجزاء، فهو ملك يوم الدين، ومالك يوم الدين بما دل عليه تنوع القراءة.

٨٧- تفيد كمال ملك الله للدنيا والآخرة، فإن قوله تعالى ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ تشير للأولى بصورة واضحة، و ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ تشير للثانية كما قال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ﴾ [النجم: ٢٥].

٨٨- تفيد أن الله تعالى هو الملك الحق، والمالك حقًا لكل شيء، وملك غيره من ملكه، ومن تسمى بملك في الدنيا فهو من باب التجاوز.

١- تفيد أن الموت والبعث والحساب والجزاء من عظيم رحمة الله تعالى بعباده؛ ولذا عقب بعده بمالك يوم الدين.

٨٩- تفيد عظم يوم القيامة ولذا خص الله ملكه له بالذكر مع أنه المالك لكل شيء.

٩٠- تفيد الحث على فعل الطاعات وترك المعاصي والسيئات، لأن العبد سوف يحاسب في ذلك اليوم على عمله.

٩١- تفيد عظمة الله وسعة قدرته، وعظيم سلطانه تعالى حيث يجمع الخلق جميعًا ويحاسبهم ويجازيهم على كل ما قدموا في حياتهم في يوم واحد.

٩٢- تفيد انقطاع الشفاعات يوم الدين إلا بإذنه، وإلا لمن ارتضى، إذ لا أحد ينازعه في ملكه وحكمه.

٩٣- تفيد أن الإيمان بالبعث من القضايا الكبرى في الدين؛ ولذا تقدم ذكره هنا في سورة الفاتحة، وبسط القول عنه في كثير من الآيات والسور.

٩٤- يفيد ذكر ملكيته سبحانه وتعالى ليوم الدين بعد ذكر صفتين من صفاته(الرحمن الرحيم) إشارة لطيفة بأن هاتين الصفتين أوضح وأظهر ما تكون في يوم الدين، وفي ذلك ما يبعث الطمأنينة في قلوب المؤمنين، ويبعث في نفوسهم دواعي المحبة والرجاء، وقد ثبت في الأحاديث: «إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

٩٥- يفيد مجيء مالك يوم الدين عقيب ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ دلالة على أن ذلك اليوم يوم المرحمة وتبعث في نفس العباد الرغبة، ولا يحرمها إلا من أبى، وقد سأل رجل ابن عبّاس: من يحاسب النّاس يوم القيامة؟ قال: الله، قال الرّجل: نجونا ورب الكعبة. وقال سفيان الثوري لحماد بن سلمة عندما عاده: يا أبا سلمة أترى الله يغفر لمثلي؟ فقال حماد: والله لو خيرت بين محاسبة الله إياي، وبين محاسبة أَبَوَيّ لاخترت محاسبة الله على محاسبة أبوي، وذاك أن الله أرحم بي من أَبَوَيّ).

٩٦- تفيد أن اختصاص الله تعالى بملك يوم الدين يبعث الطمأنينة للمؤمنين بأنهم لن يظلموا وسيلقون ربًا رحيمًا، وللكفار بأنهم سينالون جزاءً عادلًا وسيحاسب العباد على مثاقيل الذر في الخير والشر.

٩٧- تفيد أن الله يمهل ولا يهمل، وسوف يجازي العباد كلهم يوم الدين من أحسن منهم ومن أساء.

٩٨- تفيد أن من أراد النجاة ودخول الجنان فليطلبها من مالكها مباشرة دون اللجوء إلى الشفعاء والوسطاء.

٩٩- تفيد أن اليوم ينسب لما فيه من عمل عظيم، كيوم الجمعة، ويوم بدر، ويوم أحد، ويوم الدين.

١٠٠- تفيد كمال ملكه للدنيا والآخرة؛ لأن ملكه ليوم الدين يدخل فيه ملك الدنيا ضمنًا لدخول الأدنى في الأعلى، والأقل في الأكثر.

١٠١- تفيد حاجة وفقر العباد لله تعالى في الدنيا والآخرة، خاصة يومئذ تعلم النفس كمال فقرها وعظيم حاجتها إلى خالقها في يومٍ الأمر كله لله.

١٠٢- تفيد تمدح الله تعالى بملكيته يوم الدين في إشارة لطيفة إلى أن الدنيا لا تساوي ولا تعدل عند الله جناح بعوضة ولو كانت كذلك ما سقى منها كافرا شربة ماء، وأنها ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالم أو متعلم، فالله عز وجل الذي هو مالكها حقيقة لم يتمدح بملكها - في فاتحة كتابه والتي يعتبرها علماء الدساتير البشرية (الديباجة) - وذلك لأن ملكها ملك فانٍ وزائل، وملك يوم الدين باقٍ لا يفني، أفلا يكفي هذا عبرة وعظة لمن يلهثون وراء ملك الدنيا، وربما يبيع دينه وعرضه وشرفه لينال شيئا من ملكها -وليس كل ملكها-.

١٠٣- تفيد تمدح الله تعالى بملكيته يوم الدين أنه لا بأس على العبد أن يتمدح بما أعطاه الله وملكه إياه بشرط أن لا يؤدي به إلى الغرور والتكبر على خلق الله، ولهذا فإن أفضل ما يتمدح به العبد مما أعطاه الله هو العلم، وذلك أن سليمان عليه السلام وهو من هو، أعطاه الله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، لم يتمدح بملكه، بل قال: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ولم يقل: علمًا وملكًا.

١٠٤- يفيد عدم القنوط من رحمة الله تعالى في يوم الجزاء فهو الرحمن الرحيم، وهو المالك له دون غيره؛ لذا لا يخشى العبد ظلمًا، ويحصل له الرجاء العظيم في عفوه.

١٠٥- فيها توجيه بعدم الاغترار بما يملك الإنسان في هذه الدنيا مهما كان نوعه أو مقداره فهو ملك لا يدوم.

١٠٦- يفيد تخصيص يوم الدين بالملك مع أنه سبحانه مالك كل شيء، لأنه لا يدعي أحد هنالك الملك، بل ولا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا. قال ابن كثير -رحمه الله-: «وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه، لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين، وذلك

عام في الدنيا والآخرة، وإنما أضيف إلى يوم الدين لأنه لا يدعي أحد هنالك شيئا، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه».

١٠٧- يفيد التعبير بـ ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ إشارة إلى أنه يوم جزاء لا يوم عمل، وكما تدين في هذه الدنيا تدان في ذلك اليوم، وفي إظهار اليوم الذي يدان فيه العباد إشارة إلى وجود يوم يدينون فيه، وهي الدنيا.

١٠٨- تفيد عظم نعمة ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ على العالمين في تحقيق العدالة، ولهذا يحمده العالمون في ذلك اليوم قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

١٠٩- يفيد أن النجاة في ذلك اليوم مرهون بحسن عبوديته؛ ولذا لما تكلم عن يوم الدين بيَّن بعده ما به يكون الفوز والنجاة.

قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥].

١١٠- تفيد الآية خلاصة مقصد القرآن، فعلم القرآن جمع في الفاتحة، وعلم الفاتحة جمع في هذه الآية التي تضمنت أصلين عظيمين: (عبادة الله والتوكل عليه)، فمقصد القرآن الأعظم يتمثل في تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى من خلال عبادته والتوكل عليه.

١١١- تفيد الآية أن الله هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، فيجب إخلاص جميع العبادات له مع التخلي عن الشرك كله في الأقوال والأفعال والنيات؛ لأن تقديم الضمير المنفصل يفيد الحصر، أي: حصر العبادة له، والاستعانة به.

١١٢- تفيد دليلا على أن العبادة إذا أشرك بها مع الله أحدًا لم تكن عبادة، ولا تقبل من العباد، ويؤيده قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾.

١١٣- تفيد وجوب تحقيق التواضع في العبودية بانتظام العبد في سلك العابدين، وأنه واحد منهم، ولو قال "إياك أعبد" لفات ذلك المعنى؛ لإشعاره باحتمال التكثير، أو الإعجاب بانفراده بذلك.

١١٤- تفيد تعلُّم حسن الأدب في الخطاب بتقديم ذكر المعبود والمستعان به، ونظيره قوله تعالى: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا﴾.

١١٥- تفيد الحث على لزوم العبادة والاجتهاد فيها حتى الموت، كما قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾[الحجر:٩٩]، فهي تدل على أن العبودية صفة مستمرة للعبد في دار التكليف، « ومن زعم أنه يصل إلى مقام يسقط عنه فيه التعبد فهو زنديق كافر بالله وبرسوله؛ وإنما وصل إلى

مقام الكفر بالله والانسلاخ من دينه، بل كلما تمكن العبد في منازل العبودية كانت عبوديته أعظم، والواجب عليه منها أكبر وأكثر من الواجب على من دونه، ولهذا كان الواجب على رسول الله ﷺ؛ بل على جميع الرسل أعظم من الواجب على أممهم، والواجب على أولي العزم أعظم من الواجب على من دونهم، والواجب على أولي العلم أعظم من الواجب على من دونهم، وكل أحد بحسب مرتبته».

١١٦- تفيد أن عبادة الله هي المقصود من الخلق الذي يتحقق به توحيد الألوهية؛ ولذلك خصها بالحصر وبالتقديم على غيرها.

١١٧- تفيد أنه لا يخرج من عبودية الله أحد لا نبي مرسل ولا ملك مقرب، ولا جن ولا إنس، بل ما جاء الأنبياء والرسل إلا للدعوة لهذا الأصل، وكانوا أول الساعين لعبوديته جل وعلا.

١١٨- يفيد تقديم ﴿إِيَّاكَ﴾ على العبادة دلالة على أمرين: الأول الاختصاص، أي: نخصك بالعبادة، ونخصك بطلب المعونة، والثاني: أهمية ملاحظة المعبود لا العبادة والعمل.

١١٩- يفيد تقديم العبادة على الاستعانة تقديم الغايات على الوسائل؛ إذ العبادة غاية العباد التي خلقوا لها، والاستعانة وسيلة إليها.

١٢٠- تفيد كذلك تقديم العبادة على الاستعانة تقديم ما لله على ما يريده العبد فالاستعانة طلب منه والعبادة طلب له، والعبادة حق الله الذي أوجبه عليك، والاستعانة طلب العون على العبادة؛ ولكونه المناسب لما سبقها من ثناء لله تعالى، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ مناسب لما يتبعها من دعاء العبد ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخر السورة؛ ولأن العبادة المطلقة تتضمن الاستعانة، من غير عكس، فكل عابد لله عبودية تامة مستعين به، ولا ينعكس؛ لأن صاحب الأغراض والشهوات قد يستعين بالله على شهواته، فكانت العبادة أكمل وأتم، ولأن العبادة لا تكون إلا من مخلص، والاستعانة تكون من مخلص ومن غير مخلص وقد ذكر ابن القيم أسرار وهدايات كثيرة.

١٢١- يفيد قرن الاستعانة مع العبادة إشارة لطيفة إلى أنهما قرينان لا يفترقان وتوأمان لا ينفصلان فحيث وجدت عبادة من العبد لله علم بالضرورة وجود الإعانة من الله، والعكس بالعكس.

١٢٢- يفيد تكرار ﴿إِيَّاكَ﴾ في الاستعانة أهمية ومكانة الاستعانة بالله تعالى حيث خصصت بإفراد ذكرها وإن كانت داخلة في العبادة، فلم يكتف الله تعالى بذكرها مجملًا، كما أنه لو قال

سبحانه: (إياك نعبد ونستعين) فاقتصر على ضمير واحد، ربما توهم أنه لا يتقرب إلى الله تعالى إلا بالجمع بينهما والواقع خلافه.

١٢٣- يفيد إعادة ﴿إِيَّاكَ﴾ مرة أخرى دلالة على تعلق هذه الأمور بكل واحد من الفعلين، ففي إعادة الضمير من قوة الاقتضاء لذلك ما ليس في حذفه، فإذا قلت لملك مثلًا (إياك أحب) و(إياك أخاف) كان فيه من اختصاص الحب والخوف بذاته والاهتمام بذكره ما ليس في قولك: (إياك أحب وأخاف).

١٢٤- تفيد سفه من يستعينون بغير الله في قضاء حوائجهم التي لا يقدر عليها الا الله.

١٢٥- يفيد الاستعانة بالله علاج لغرور العبد وكبريائه، فهو ضعيف لا يستغني عن مولاه.

١٢٦- يفيد استعمال ضمير الجمع في ﴿نَعۡبُدُ﴾ و﴿نَسۡتَعِينُ﴾ على محبة الله تعالى للجماعة ووحدة الكلمة.

١٢٧- يفيد المجيء بالنون في الفعلين قصد الإخبار من الداعي عن نفسه وعن جنسه من العباد، وقيل: إن المقام لما كان عظيمًا لم يستقل به الواحد استقصارًا لنفسه واستصغارًا لها فالمجيء بالنون لقصد التواضع لا لتعظيم النفس.

١٢٨- تفيد أن العبد لا يعبد الله إلا بعون منه.

١٢٩- تفيد أن الاستعانة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى شرك.

١٣٠- تفيد أن على المسلم الاستعانة بالله في عبادته، وفي أموره كلها فهي دعاء ورجاء.

١٣١- تفيد أن الاستعانة بالله نوع من أنواع العبادة التي يتقرب بها العبد لله تعالى.

١٣٢- يفيد ذكر الله تعالى لملكية يوم الدين في الآية السابقة ثم ذكره للعبادة والاستعانة في هذه الآية أن فيهما نجاة الخلق في ذلك اليوم، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾.

١٣٣- تفيد منزلة الاستعانة، فلفظ العبادة يشمل التوكل إذا أفرد، وإذا قرن به التوكل كان مأمورًا به بخصوصه.

١٣٤- يفيد قرن العبادة بالاستعانة دلالة على أن العبد لا يستطيع أن يقوم بأي عبادة إلا بإعانة الله وتوفيقه، فهو إقرار بالعجز عن حمل هذه العبادة.

١٣٥- تفيد أن من استعان بالله أعانه الله على عبادته.

١٣٦- تفيد أن من عبد الله حق عبادته أعانه على الخير.

١٣٧- تفيد بيان فضل الله على عباده وهو يهديهم للاستعانة به ليعينهم.

١٣٨- تفيد عظمة الله تعالى فهو وحده القادر على إعانة جميع الخلق في وقت واحد وفي كل أمورهم وأحوالهم.

١٣٩- تفيد افتقار العبد إلى الاستعانة بالله تعالى في جميع عبادته ابتداء وتكميلًا؛ فإنه إن لم يعنه لم يحصل له ما يريده من فعل الأمر واجتناب النهي؛ ولذا ذكر الاستعانة بعد العبادة مع دخولها فيها.

١٤٠- تفيد وجوب اعتقاد العبد عجزَه عن نيل مراده إلا بتوفيق مولاه؛ لأن سؤال الإعانة مُشْعِرٌ بالحاجة إليها، والاحتياج إليها مشعر بالعجز عند عدمها.

١٤١- تفيد الحث على الثقة بالله والاعتماد عليه، الذي هو معنى الاستعانة، وهي حقيقة ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فلا يستعان إلا ممن نثق في اعانته.

١٤٢- تفيد الحث على العمل والأخذ بالأسباب، وعدم التواكل؛ لأن لفظ الاستعانة يفيد أنك تريد العون على عمل أنت قائم به أو مقبل عليه، تُريد العون لإكماله.

١٤٣- تفيد استحباب الاهتمام بأمور الآخرة، وطلب الإعانة عليها، وأن يكون ذلك أهم عند المؤمن من طلب الدنيا والإعانة عليها؛ لأن سؤال ذلك عَقِبَ العبادة مُشْعر بذلك.

١٤٤- تفيد حاجة العبد المستمرة للاستعانة بالله تعالى في كل صغيرة وكبيرة، في أمور الدين والدنيا في أمورنا الفردية والجماعية.

١٤٥- يفيد ذكر الالتفات في الآية من ضمير الغائب إلى ضمير المخاطب، لأن فيها طلبا، والطلب إنما يكون من الحاضر ولا يكون من الغائب، وفي هذا يقول بعض المتقدمين: الثناء على الغائب أولى وأبلغ، والطلب من الحاضر أولى وأبلغ.

١٤٦- تفيد أنه لن ينال العبد شيئا من أمر الآخرة ولا من أمر الدنيا إلا بعون من الله.

١٤٧- تفيد سؤال العون على مرضاته وهذا من أنفع الدعاء، وفيها دفع للرياء، ودفع للكبر والعجب.

١٤٨- يفيد تكرار هذه الآية في كل ركعة من صلاتنا إشارة إلى أهمية طلب العون من الله تعالى في أداء هذه الصلاة فهي كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾.

١٤٩- -يفيد تقديم العبادة على الاستعانة أن الأنسان يستعين بالعبادة على العبادة، قال: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾.

١٥٠- يفيد إطلاق الاستعانة ليتناول كل مستعان فيه، والأحسن أن تراد الاستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادة، ويكون قوله: ﴿ٱهْدِنَا﴾ بيانا للمطلوب من المعونة، كأنه قيل: كيف أعينكم؟ فقالوا: اهدنا الصراط المستقيم، وإنما كان أحسن لتلاؤم الكلام وأخذ بعضه بحجزة بعض.

١٥١- يفيد أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ هَذِهِ النُّونِ نُونُ الْجَمْعِ وَهُوَ تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّ الْأَوْلَى بِالْإِنْسَانِ أَنْ يُؤَدِّيَ الصَّلَاةَ بِالْجَمَاعَةِ.

١٥٢- نفيد نون العظمة في قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فَكَأَنَّهُ قِيلَ لَهُ مَتَّى كُنْتَ خَارِجَ الصَّلَاةِ فَلَا تَقُلْ نَحْنُ وَلَوْ كُنْتَ فِي أَلْفِ أَلْفٍ مِنَ الْعَبِيدِ، أَمَّا لَمَّا اشْتَغَلْتَ بِالصَّلَاةِ وَأَظْهَرْتَ الْعُبُودِيَّةَ لَنَا فَقُلْ نَعْبُدُ لِيَظْهَرَ لِلْكُلِّ أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ عَبْدًا لَنَا كَانَ مَلِكَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

١٥٣- يفيد تأخير الاستعانة دليل على أهميتها، وليس كما قد يتوهم البعض بعكس ذلك، والنكتة في تأخيرها هي لكونها جامعة بين دعاء عبادة ودعاء مسألة، ولهذا جاء دعاء المسألة صريح في الآية التي بعدها، وفيما ذكرته رد على من لا يرى في خواتيم الآيات الا مراعاة للفواصل.

١٥٤- يفيد إطلاق الاستعانة إشارة إلى وجوب الاستعانة بالله في أمور الدين والدنيا والآخرة، فلو انتفت العبادة المفروضة في يوم الدين فإن الاستعانة به على أهوال ذلك اليوم لا تنتفي، وأيضا فإن انتفاء عون الله لعبده في دينه ودنياه هو غاية الخسارة والهلاك. وصدق الشاعر إذ قال:

إذا لم يك عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده

١٥٥- يفيد تقديم العبادة والاستعانة على طلب الهداية (اهدنا) إشارة لطيفة إلى أن من لا رصيد له من العبادة لا رصيد له من الهداية فبقدر رصيدك من العبادة يكون رصيدك من الهداية، فاستقلل أو استكثر، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، وفي هذا ما يشير إلى أهمية العمل في الإسلام والتفاني والإخلاص فيه، فليس دين الإسلام دين أدعية وابتهالات فقط بل هو أيضا عمل، ولهذا فإن وقع الدعاء بعد الاجتهاد في العمل والإخلاص لله فيه نفع واستجيب لصاحبه، ولهذا نجد فيما أشير إليه ما يفسر ما وصلت إليه حال الأمة في عصرنا الحاضر من الإكثار من الأدعية دون العمل والإخلاص لله، قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾.

١٥٦- تفيد الإيقاع الصوتي الذي يحصل عند النطق بإياك من التشديد، واختيار هذه اللفظة من بين ألفاظ الحصر ما لها من إيقاع صوتي فريد يعض فيه الحرف على النواجذ، وفي ذلك إشارة لطيفة ومُلحة جميلة أنه ينبغي للعبد العض على النواجذ في عبادة الله تعالى والاستعانة به، والله أعلم.

١٥٧- تفيد جواز التوسل بالأعمال الصالحة، فكوننا عبدناه واستعنا به نستطيع أن نقدم ذلك وسيلة قبل الدعاء.

١٥٨- تفيد أن من أعظم مواطن إجابة الدعاء هي المواطن التي يظهر فيها العبد الافتقار والتذلل والخضوع إليه سبحانه وتعالى، فبالرغم من معرفة الله تعالى لمن يخلص له في العبادة والاستعانة الا أنه علَّمنا في فاتحة كتابه الكريم هذا الأمر لكونه بابًا عظيمًا من أبواب إجابة الدعاء، وخاصة إذا اجتمعت قلوب العباد على ذلك، (المستفاد من صيغة الجمع).

١٥٩-يفيد قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ دلالة على أن الاستعانة تتعدى بنفسها وبالباء، فتقول: (نستعينك) و(نستعين بك)، وفي اختيار الاستعانة التي تتعدى بنفسها دون الثانية إشارة لطيفة لمن نور الله بصيرته بهدايات القرآن الكريم إلى أن الاستعانة به سبحانه وتعالى لا تحتاج إلى واسطة بل هي تكون مباشرة بين العبد وربه، ولا تحتاج حتى إلى حرف الباء.

قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٦].

١٦٠- يفيد ذكر طلب الهداية في فاتحة الكتاب وفي أول دعاء في القرآن الكريم إشارة واضحة إلى المكانة العظيمة والمنزلة الرفيعة للهداية إلى الحق التي حرم منها خلق كثير من الأمم.

١٦١- تفيد أنه ينبغي للعبد ألا يشغل نفسه بالدعاء بتفاصيل الأمور الجزئية بل يسأل الله بجوامع الكلم وبعظائم الأمور التي إن أوتيها فقد أوتي الخير كله، وأول ذلك وأهمه الهداية إلى الصراط المستقيم.

١٦٢- تفيد ذكر الدعاء بصيغة الجمع أن كل الخلق مدعوون لعبادته وحده وطلب العون منه على الهداية والاستقامة على أمره.

١٦٣- يفيد تعريف الصراط دلالة على عظم ورفعة منزلة هذا الصراط إذ ليس كأي صراط، بل صراط معهود لهؤلاء الداعين، وفي ذلك نكتة لطيفة إلى أن أقدامهم على هذا الصراط فيطلبون الثبات عليه.

١٦٤- يفيد تعريف الصراط دلالة على وضوح الطريق الموصل إلى الله سبحانه، فلا يحيد عنه إلا من انتكست فطرته.

١٦٥- يفيد توالي الحروف المفخمة في الصراط إشارة واضحة إلى فخامة هذا الصراط وعظمته وعظمة مرتاديه وفخامتهم. (هذه الهداية خاصة بقراءة الصاد).

١٦٦- يفيد وجود صفة اللين والرخاوة والسهولة في حروف كلمة ﴿ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ إشارة إلى أن الصراط المستقيم فيه من اليسر والسهولة واللين ما يبهر من مشى عليه وسلكه.

١٦٧- تفيد الآية ردًا على المعتزلة ومن يقول بقولهم: إنه يجب على الله فعل الأصلح لعباده، فلو كان الأمر كذلك لما طلب العباد من الله الهداية إلى الصراط المستقيم، فدل هذا على أن الهداية فضل من الله يؤتيها من يشاء من عباده.

١٦٨- تفيد أن حياتك كلها تحتاج لهداية الطريق المستقيم، فاستحضر ذلك عند قراءة هذه الآية في الصلاة.

١٦٩- تفيد أن طلب الهداية هو أنفع وأجمع دعاء للعبد ولذلك جعله الله أول دعاء في كتابه، وفرضه على عبده في صلاته.

١٧٠- تفيد أن عبادة الله وطاعته أسهل طريق للعبد في نجاحه وفلاحه، ولذلك وصف الصراط بالمستقيم الذي هو أقرب وأيسر الطرق.

١٧١- تفيد رفع الحرج في أن يتحدث المرء عن نفسه بصيغة الجمع ما دام يعرف قدر نفسه، وكم من متحدث في ظاهر كلامه تواضع وفي قلبه من الكبر ما لا يعلمه إلا الله... في الحديث « حمدني عبدي.. أثنى علي عبدي.. الخ».

١٧٢- يفيد تقديم كل ذلك الثناء والتعظيم والتذلل وطلب الاستعانة، ثم تعقيب ذلك بطلب الهداية أن الهداية أعظم مطلوب يسأله الإنسان ربه.

١٧٣- تفيد أن التطويل في الدعاء وتقييده وزيادة أوصاف الصراط تدل على استحباب تطويل العبد مناجاته مع ربه سبحانه، وعدم الإسراع في الدعاء.

١٧٤- تفيد الحث على إخراج الكلام في أبها صورة وأوضح صيغة لئلا يلتبس على السامع، فإذا كان تقييد الصراط وتوضيحه بهذه الأوصاف في مناجاة من يعلم السر وأخفى مطلوبا، فمع غيره سبحانه وتعالى أولى.

١٧٥- تفيد الحث على طرح الأسئلة والإشكالات على أهل العلم للتثبت والمدارسة وأن ذلك سبيل لرفع كثير من اللبس، فلا يكفي وضوح الصراط لتتبعه بل لابد من سؤاله وطلبه، وكم من عاقل عالم ضل عن الطريق مع علمه.

١٧٦- تفيد الحث على طلب معالي الأمور دائما، فلا يكفي صحة الطريق فقط بل هو الطريق ليس فيه أي اعوجاج.

١٧٧- تفيد أنه على العبد أن لا يغتر دائما بالكثرة، إذ الطرق كثيرة، والطريق الصحيح واحد.

١٧٨- تفيد كونها تقرأ في كل ركعة دلالة واضحة على أن الإنسان في حاجة ماسة إلى اللجوء إلى الله تعالى في كل أموره ولا يغتر بعلمه ولا عمله؛ لأن القلوب يمكن أن تتغير بين يوم وليلة.

١٧٩- تفيد طلب التوفيق والزيادة والثبات واستدامة الهداية من الحق الذي ارتضاه الله لعباده حتى الممات.

١٨٠- تفيد أهمية الاستقامة على دين الله تعالى، وأنه دين طريقه واضح لا اعوجاج فيه قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾.

١٨١- تفيد أهمية طلب الهداية من الله في الرسالات السماوية السابقة والرسالة الخاتمة.

١٨٢- تفيد أن كثيرا من الناس ضل السبيل مع وضوح المحجة واستقامة الصراط وظهوره، وفي ذلك إشارة إلى أن على العبد أن يعلم أن الهداية منة من الله وتوفيق من علام الغيوب، قال مطرف: لو كان الخير في يدي هذه وقلبي في يدي هذه ما استطعت أن أدخله إليه».

١٨٣- تفيد الآية أن من وفق لما وفق له ممن أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء فقد وفق للإسلام والتمسك به واتباع منهج النبي ﷺ وأهل الصلاح.

١٨٤- تفيد أن ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ ثابت بالبراهين والأدلة لا يزيله شيء ولا ينقض حججه كيد الكائدين.

١٨٥- يفيد سؤال الله الهداية أهمية إزالة الشبه والشهوات التي تعترض طريق الهداية.

١٨٦- تفيد أن الدعاء الذي في هذه السورة الكريمة أفضل من غيره لأنه كلام تكلم به رب العالمين.

١٨٧- تفيد أن الصراط المستقيم هو إفراد الله بالعبودية، وإفراد رسله بالطاعة، وهو مضمون شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.

١٨٨- تفيد الآية أن العبد لا يستطيع معرفة الحق مع وضوحه إلا إذا هداه الله، ولا يستطيع سلوكه بعد معرفته إلا بهدايته وإعانته.

١٨٩- تفيد أننا في حياتنا سائرون وعاملون شئنا أم أبينا، فالسعيد من يختار لكدحه الطريق المستقيم الذي يحبه الله ويرضاه.

١٩٠- تفيد الآية مع قوله تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ وجوب الاقتداء بالأنبياء عليهم السلام.

١٩١- يفيد كون هذا الصراط مستقيما أنه الملة الحنيفية السمحة المتوسطة بين الإفراط والتفريط.

١٩٢- تفيد أن الإنسان معرض في حياته لمواجهة طرق كثيرة فعليه أن يكون واعيا مستكشفا مقيما للطرق، عارفا بالمستقيم منها من المعوج،، وداعيا لربه ومستعينا به على سلوك الطريق المستقيم، وليس إمعة تابعا للآخرين فيما يسيرون عليه من طرق في كافة مناشط حياتهم.

١٩٣- تفيد الآية علو الصراط المستقيم وطلب قطع المسافات إليه وموافاته.

١٩٤- تفيد أن الاستقامة لا تتعدد كما قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾[يونس: ٣٢].

١٩٥- تفيد الآية مع قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩] صحة إمامة أبي بكر الصديق ﷺ لأنه داخل فيمن أمرنا الله أن نسأله أن يهدينا صراطهم.

١٩٦- تفيد أن طلب الهداية إلى الصراط المستقيم يجب أن تصدر من جوف العبد قبل أن تصل إلى طرف لسانه، وذلك أن حرفي الهمزة والهاء من حروف الجوف، وحرفي الدال والنون من حروف طرف اللسان وحافته، ففي اختيار هذه اللفظة دون لفظة: (دلنا) أو (أرشدنا) إشارة خفية ولطيفة إلى عظم منزلة هذه الهداية، وأنه ينبغي للعبد في طلبها أن يطلبها من جوفه وعميق صدره بالإضافة إلى طرف لسانه.

١٩٧- يفيد وصف ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ بالمستقيم دون وصفه بـ (الصراط القويم)، من أقوى الأدلة على أن الزيادة في المبنى يدل على الزيادة في المعنى، وفي ذلك إشارة لطيفة على أنه ينبغي للعبد في دعائه أن يتخير الألفاظ الدالة على الزيادة في المعنى، فمن الزيادات في معنى المستقيم:

- أنه صراطٌ استقام بأمر من الله.
- أنه صراطٌ من طلب الاستقامة فيه وجدها، فهو مستقيم بنفسه ومقيم لغيره.
- أنه صراطٌ طويلٌ، ويظهر مع طوله أن حروفه متصلة ببعضها غير منفصلة، من مشى عليه

وصل إلى نهايته من غير انفصال ولا تجاف عنه، ويظهر أنه قد تعترضه في هذه المسافة أشواك وأسنان كأسنان السين، إلا أن نهايته منجى ومحمدة.

١٩٨- تفيد الحث على الدعاء والتضرع إلى الله تعالى، وطلب الهداية والخيرات منه جل وعلا، خاصة بالمعاني الجامعة لكل خير.

١٩٩- تفيد أهمية الرغبة الصادقة للتحلي بالهدى والرشد والخير، وهذا ما يدفع العبد للتضرع لربه ليوفق لذلك.

٢٠٠- تفيد أن طلب الهداية لا يكون إلا ممن يملكها وحده، وهو سبحانه جل وعلا.

٢٠١- تفيد أن الهداية والضلال من خلق الله تعالى؛ لأن طلب الهداية منه مشعر بذلك، وقد صرَّح القرآن به والسنة في مواضع عدة كقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾[النحل: ٩٣].

٢٠٢- تفيد أن من أعظم آداب الدعاء أن يقدم السائل بين يدي دعائه حمدًا لله وثناء عليه، وزادت السنة الصلاة على النبي ﷺ ثم يسأل حاجته، وهذا أقرب للإجابة.

١- تفيد أن من حسن الطلب ومخاطبة الكبير أن يقدم المخاطِب بين يدي حاجته الثناء الجميل، والذكر الحسن.

٢٠٣- تفيد أهمية وحدة الأمة على العقيدة الصحيحة القائمة على عبودية الله والتوكل عليه، على النهج المستقيم، ولذا جاءت كل هذه الأمور بصيغة الجمع "نعبد"، "نستعين"، "اهدنا"، حتى يعمل بها الفرد ويحمل غيرها على ذلك، دعاء ودعوة.

٢٠٤- تفيد تعميق روح الولاء للجماعة ووحدة الصف المسلم، من خلال التعبير بروح الجماعة العابدة، المستعينة، المستهدية بالله؛ لما في ذلك من أثر كبير في تواد المسلمين وتراحمهم وتعاطفهم وتعاونهم.

٢٠٥- تفيد تعليما للأمة بطلب الدوام على الهداية للإسلام حتى لا يضلوا من بعد هدى، أو ينقطعوا من بعد عمل صالح. فالقائل إذا قال: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ هو طالب من الله أن يعرفه إياه، ويبينه له ويلهمه إياه، ويقدره عليه، فيجعل في قلبه علمه وإرادته والقدرة عليه والثبات والزيادة منه.

٢٠٦- تفيد أهمية لجوء العبد إلى ربه تعالى بعد استعانته به على العبادة أن يهديه الصراط المستقيم؛ لأنه لابد في العبادة من إخلاص؛ يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، ومن استعانةٍ

يتقوى بها على العبادة؛ يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ ومن إتباع للشريعة يدل عليه قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾؛ لأن ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ هو الشريعة التي جاء بها الرسول عليه السلام، وهذه أهم محاور العبودية التي توصل لمرضاته جل وعلا.

٢٠٧- تفيد أن الداعي عليه أن يستشعر عند دعائه ما يجب عليه أن يعتقده مما لا يتم الإيمان إلا به، وما ذكر هنا هو إيمان وتصديق وتوسل بهذا الإقرار إلى ربه، فكأنه متوسل إليه بإيمانه واعتقاده أن الصراط الحق، هو الصراط المستقيم.

٢٠٨- تفيد إثبات النبوة؛ لأن الهداية إلى الصراط المستقيم بدونه ممتنع، وهذه من لوازم المعنى.

٢٠٩- تفيد الرد على جميع أهل البدع والضلال؛ لأن معناه معرفة الحق والعمل به، فكل مبتدع وضال فهو مخالف لذلك.

٢١٠- تفيد الحث على طلب العلم، لأن الهداية تتطلب العلم بالحق والعمل به، فمن لم يجعله الله عالمًا بالحق، وعاملًا به لم يكن له سبيل إلى الاهتداء إلى الصراط المستقيم.

٢١١- تفيد أهمية معرفة العبد لحاجته للعلم « فإن طلب الهداية اعتراف بالاحتياج إلى العلم، ووصف الصراط بالمستقيم اعتراف بأن من العلم ما هو حق، ومنه ما هو مشوب بشُبه وغلط، ومَن اعترف بهذين الأمرين فقد أعد نفسه لاتباع أحسنهما ».

٢١٢- تفيد الحث على طلب أقرب وأيسر السُّبُل إلى الله تعالى؛ لأن الطريق المستقيم أقرب إلى الوصول وأيسر من الطريق المعوج، ومن هنا فإن أهل التشدد والغلو لم يعرفوا طبيعة هذا الدين وجماله ويسره وسماحته.

٢١٣- تفيد أن المصيب واحد؛ إذ لو كان متعددًا لما أُفرِد الطريق إلى الله تعالى، فوحدةُ الطريق ووصفه بالاستقامة دليل على ذلك. (ينظر: الفوائد اللائحة من معاني الفاتحة لابن جامعة فهو من أعظم ما كتب في هدايات سورة الفاتحة).

٢١٤- تفيد أن الصراط ينقسم إلى قسمين: مستقيم، ومعوج؛ فما كان موافقًا للحق فهو مستقيم، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣]؛ وما كان مخالفًا له فهو معوج الذي على رأسه شيطان يدعو إليه.

٢١٥- تفيد أن كل هدى لم يكن من الله فهو ليس بهدى، ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ [الأعراف: ١٧٨].

٢١٦- يفيد ذكر ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ مفردا ومعرفا تعريفين: تعريفا باللام، وتعريفا بالإضافة؛ تعينه واختصاصه، وأنه صراط واحد... ولهذا قال العلماء: « فإن الطريق الموصل إلى الله واحد، وهو ما بعث به رسله وأنزل به كتبه لا يصل إليه أحد إلا من هذه الطريق، ولو أتى الناس من كل طريق، استفتحوا من كل باب فالطرق عليهم مسدودة، والأبواب عليهم مغلقة إلا من هذا الطريق الواحد، فإنه متصل بالله موصل إلى الله ».

٢١٧- تفيد أن دين الإسلام كاملًا لا قصور فيه، ولا اعوجاج، ولا انحراف، ومن ظن فيه غير ذلك فقد ضل ضلالًا مبينًا.

٢١٨- تفيد أن الناس بقدر التزامهم بالإسلام والهدى الذي جاء في الكتاب والسنة تتحقق لهم الاستقامة والسداد والصواب.

٢١٩- تفيد أنه يستحب للمؤمن أن يحب الخير والصلاح والهداية لإخوانه المؤمنين ويدعو لهم دائما بالهداية والتوفيق وصلاح الأحوال في دينهم ودنياهم، قال عليه الصلاة والسلام: « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

٢٢٠- تفيد أن الهداية إلى الإسلام وهو الدين الصحيح مِنَّةٌ من الله وحده على عباده.. لا منة للعبد على الله بلزومه الصراط المستقيم.

٢٢١- تفيد أهمية لجوء الإنسان إلى الله عز وجل بعد استعانته به على العبادة أن يهديه الصراط المستقيم لأنه لابد في العبادة من إخلاص ومتابعة.

٢٢٢- يفيد حذف المتعدي في قوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ﴾ دون قوله: (اهدنا الى الصراط) دلالة على أن هؤلاء الداعيين يطلبون من الله أن يحملهم على الصراط حملا، وأن يقيمهم عليه ويثبتهم عليه، في حياتهم وبعد مماتهم، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

٢٢٣- تفيد أن ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ دائم الثبات من كل النواحي والاتجاهات، ولهذا من سار عليه وسلكه كان ثابت الجأش، قوي الحجة، واضح البرهان، سالما من مفاجآت الطريق، وقادرا على رؤية الطريق بشكل كامل ولا تكدر على رؤيته انحناءات ولا انكسارات.

٢٢٤- تفيد أن تعاليم الإسلام كلها مستقيمة معتدلة، من خلال وصفها بالصراط المستقيم؛ ولكن تدين الناس وتمسكهم به قد يكون مستقيما وقد يكون معوجا؛ ولذا فأهل الهدى يسألون

الاستقامة عليه، فالإسلام مبرأ من كل عيب في جوانب الافراط أو التفريط؛ ولكن العيب يكون فيمن يدخلون فيه ولا يستقيمون على هديه كما أراد الله تعالى.

٢٢٥- تفيد أن أهل الإسلام هم أهل الصراط المستقيم وهم وسط بين الأديان؛ كما أن أهل السنة وسط بين المذاهب والجماعات.

٢٢٦- تفيد ضعف العباد وفقرهم جميعا إلى ربهم في كل أمورهم الدينية والدنيوية، وفي كل أحوالهم.

٢٢٧- تفيد أنه يستجيب الله دعاء المرء بهذه الآية، وإن كان المصلي أو القارئ قد لا يفهم معناها...ولكنه بألفاظها... فيهديه الله من بعد إلى إدراك معانيها ومبانيها.

٢٢٨- تفيد أنه ينبغي للأمة الإسلامية العمل على التخطيط الاستراتيجي السليم لكل أمور حياتهم، ومعرفة الحلول للمشكلات والأزمات التي يمرون بها، ليكونوا على بينة في أمرهم، ووضوح في أهدافهم، واستقامة على مبادئهم التي ينبغي أن تتوافق وتستقيم مع دينهم، فمن لم يعرف ولم يتبين له طرق الضلالة والغواية والاعوجاج كيف يعرف الطريق الحق والصراط المستقيم، بل وكيف يسأل عنها أو يتفادى طريق الضلالة والغواية؟

٢٢٩- تفيد أن ذكر صيغة الجمع ﴿ٱهۡدِنَا﴾ دلالة على أن من نوى بهذا الدعاء أن يدعو لنفسه وللمؤمنين كان دعاءً لهم بظهر الغيب وهو مستجاب مصداقًا للحديث، ولذا تقول الملائكة آمين عند ختم السورة.

٢٣٠- تفيد كمال الدعاء في الهداية فالهداية هنا بثلاثة معاني: دلنا عليه - اسلك بنا فيه - ثبتنا عليه — فالأول: يتحقق بالعلم، والثاني: بالعمل. والثالث: بالصبر.

٢٣١- يفيد ذكر ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ دون (السَّبِيلَ)، أو (الطَّرِيقَ) وَإِنْ كَانَ الْكُلُّ وَاحِدًا؛ لِيَكُونَ لَفْظُ الصِّرَاطِ مُذَكِّرًا لِصِرَاطِ جَهَنَّمَ فَيَكُونُ الْإِنْسَانُ عَلَى مَزِيدِ خَوْفٍ وَخَشْيَةٍ.

٢٣٢- تفيد منزلة هذا الصراط ومكانته فإن الخط المستقيم هو أقرب طريق يصل بين نقطتين.

٢٣٣- تفيد دعوة غير المسلمين لأن يكونوا في صف الناجين المهتدين، فيخضعوا للمنعم المتفضل عليهم ببيان الصراط الذي يوصل لمرضاته ويحقق سعادة عباده.

قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧].

٢٣٤- تفيد الآية أن أفضل النعم وأعظمها وأكملها وأتمها على الإطلاق هي نعمة الهداية إلى الصراط المستقيم قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣].

٢٣٥- تفيد أن من حاد عن الصراط المستقيم إما مغضوب عليه أو ضال.

٢٣٦- يفيد عدم اكتفاء العبد في دعائه بـ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ إشارة إلى أنه ينبغي للعبد أن يتلذذ بمناجاة الله تعالى، وأن يستحضر في طلب الهداية إلى الصراط المستقيم من مضى على هذا الصراط المستقيم من أولياء الله تعالى، وفي ذلك استدعاء لتنزل رحمات الله تعالى عند ذكر أوليائه وعباده الصالحين.

٢٣٧- تفيد أن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا، وقد ورد بيان من أنعم الله عليهم في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾[النساء: ٦٩].

٢٣٨- يفيد ذكر ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ في هذا الدعاء إشارة لطيفة ودقيقة إلى أنهم يريدون مرافقة هؤلاء الذين أنعم الله عليهم، أي: أنعمت عليهم في الدنيا بالهداية، وفي الآخرة بجزيل الأجر والثواب والدرجات العالية، فارزقنا مرافقتهم في الآخرة، ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[النساء: ٦٩].

٢٣٩- يفيد نسبة الإنعام إلى الله إشارة إلى أنه فضل من الله لا دخل للعبد ولا نسبة له فيه، وفي عدم نسبة الغضب إليه هنا لأن المقام مقام تلطف وتضرع وطلب للإحسان، فلا يحسن مواجهته بصفة الانتقام.

٢٤٠- يفيد تعريف الصراط بإضافة من مضى عليه ممن أنعم الله عليهم دلالة على أنه قد شرف هذا الصراط بشرف سالكيه ومرتاديه، وأيضا شرف كونه محلا لتنزل نعم الله على عباده. وفي ذلك إشارة لطيفة إلى أن هذا الصراط عليه آثار وهدايات من مضى عليه ممن أنعم الله عليهم، وكأن الداعي في دعائه يشير إلى أنه يريد في طلب الهداية لهذا الصراط أن يرزقه الله الاقتداء بآثار هؤلاء الذين أنعم الله عليهم ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام: ٩٠].

٢٤١- تفيد أنه ينبغي على سالك الصراط المستقيم أن لا ينسى في دعائه من تقدمه ومضى على هذا الصراط من عباد الله الصالحين، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

٢٤٢- تفيد أن على العبد أن يكون بين الرجاء والخوف فالرجاء أن يكون بين من أنعم الله عليهم، والخوف بين أن يكون من المغضوب عليهم والضالين.

٢٤٣- تفيد أن من أفضل مواطن إجابة الدعاء هو الموطن الذي يكون فيه العبد بين الرجاء والخوف، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾[الإسراء: ٥٧].

٢٤٤- يفيد مجيء أنعمت بصيغة الماضي دون الحاضر والمستقبل إشارة لطيفة إلى أن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، ولهذا فمن كان مستنا فليستن بمن قد مات، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه.

٢٤٥- تفيد أن المعيار الحقيقي للنعمة هي نعمة الهداية إلى الصراط المستقيم، وكل نعمة هي دون تلك النعمة، ولهذا فمن رزقه الله نعمة الهداية وسلب ما دونها من النعم فقد أنعم الله عليه.

٢٤٦- يفيد إضافة وصف ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ بـ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. دلالة على أن هداية الدلالة حاصلة ومتاحة وميسرة لجميع البشر في كل العصور والأمكنة.

٢٤٧- تفيد الآية أن تذكر قصص الأنبياء والصالحين مما يبعث على النفس الالتزام بدين الله وسلوك هديه القويم.

٢٤٨- تفيد هذه الآية مثالا للنموذج العملي لسالكي الصراط المستقيم، ومن عظيم منهج القرآن أنه يضرب الأمثال والنماذج لما يأمر به ويهدي إليه.

٢٤٩- تفيد أن المؤمن حين ينظر إلى من سبقه في الإيمان والعمل يتطلع لأن يكون مثلهم في الفضل والسبق ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].

٢٥٠- يفيد التعبير بالنعمة دلالة على أن أهل عبادة الله وطاعته هم الذين يعيشون نعيم الدنيا بأرواحهم السامية.

٢٥١- تفيد أنك إذا مررت بهذه الآية ينبغي أن تحرك قلبك بالطمع أن تكون منهم، وعلى هديهم، وأن يلهج لسانك بالدعاء أن يسلك الله بك طريقهم ونهجهم.

٢٥٢- يفيد تقديم ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ على ﴿الضَّالِّينَ﴾ إشارة إلى أن الهداية إلى الصراط المستقيم قد تلحق الضالين دون المغضوب عليهم، لأن غضب الله عليهم مرتبة فوق ضلالتهم، فدل ذلك على عظيم جرمهم، وعلى هذا فإن الضالين يشمل جميع الكفار.

٢٥٣- تفيد النظر والاعتبار بقصص السابقين، والاقتداء بالصالحين منهم.

٢٥٤- تفيد تعزيز التمسك بفهم السلف الصالح كما قال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[النساء: ١١٥].

٢٥٥- تفيد أن أهل الحق وأهل الاستقامة هم دائما في المقدمة لا يقدم عليهم أحد لا بنسب ولا بسلطة ولا بجاه.

٢٥٦- تفيد الآية ردا على الشيعة وضلالاتهم الذي يبغضون صحابة رسول الله ﷺ، فإن أول من يدخل تحت من أنعم الله عليهم هم النبي الكريم وصحابته الكرام.

- تفيد حسن وكمال الأدب مع الله وذلك في إسناد الإنعام لله، وحذف فاعل الغضب، وإسناد الضلال للعباد، وإن كان هو الفاعل لذلك في الحقيقة، كما قال تعالى: ﴿۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾[المجادلة: ١٤]، وكذلك إسناد الضلال إلى من قام به، وإن كان هو الذي أضلهم بقدَره. نسب الصراط المستقيم للذين أنعم الله عليهم ولم ينسبه للمغضوب عليهم أو الضالين إذ أن الناس ليسوا سواء في مسيرهم.

- تفيد ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ أن الذي أنعم هو الله، فكم هي عظيمة تلك النعم من الله المنعم، فهي تبث في نفسك الشعور بالطمأنينة، وإن ضاقت بك الدنيا، فأمر النعم بأمر المنعم وليست بأمر العباد.

٢٥٧- تفيد ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ التنفير من هذه الطرق التي مدارها على كل ما هو قبيح.

٢٥٨- يفيد أن التفصيل بعد الإجمال من أساليب التشويق التي استخدمها القرآن، فقوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ إجمال ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ تفصيل.

٢٥٩- يفيد قوله تعالى: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ تقديم الأشد فالأشد؛ لأن المغضوب عليهم أشد مخالفة للحق من الضالين، وفي الآية ملمح بلاغي، حيث عبر عن المغضوب عليهم باسم المفعول الدال على أن الغضب عليهم حاصل منه سبحانه ومن أوليائه.

٢٦٠- تفيد الآية حجية الإجماع، وأن إجماع السابقين نعمة عظيمة على اللاحقين.

٢٦١- يفيد ذكر الرحمة في أول السورة ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وفي وسطها ذكر الهداية ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ وفي آخرها ذكر النعمة ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ إشارة إلى أنه بقدر ما للعبد من النعمة بقدر ماله من الهداية، وبقدر ماله من الهداية بقدر ماله من الرحمة.

٢٦٢- تفيد تعليم حسن الأدب مع الله تعالى في الدعاء والاختصار فيه، ومعنى هذا الدعاء: صراط الذين أنعمت عليهم، فأنعم علينا كما أنعمت عليهم بسلوك الصراط المستقيم، وجنبنا سلوك طرق المغضوب عليهم والضالين.

٢٦٣- تفيد أن طاعة الله جل وعلا لا ينالها المطيعون إلا بإنعام الله عليهم وتوفيقه إياهم لها؛ لأنه سبحانه أضاف كل ما كان منهم من اهتداء وطاعة وعبادة إلى أنه إنعام منه عليهم.

٢٦٤- تفيد أن الذين أنعم الله عليهم هم المؤمنون فأطلق تعالى الإنعام ليشمل كل إنعام؛ لأن من أنعم عليه بنعمة الإسلام لم تبق نعمة إلا أصابته واشتملت عليه.

٢٦٥- تفيد أنه يجب على من أنعم الله عليه بالهداية إلى الصراط المستقيم أن يكون على حذرٍ من الأفعال والأقوال والأخلاق والسلوك التي تؤدي إلى التشبه بالمغضوب عليهم أو الضالين.

٢٦٦- تفيد الآية الكريمة أن المنعم عليهم جمعوا بين النعمة المطلقة والسلامة من غضب الله والضلال.

٢٦٧- تفيد أن من أفضل المناهج التعليمية بيان الأشياء بضدها، قطعًا للتوهم ودحضًا للالتباس، فمع وصف الله تعالى لهذا الصراط بكونه مستقيما وبكونه صراط الذين أنعم الله عليهم، ثنى سبحانه وتعالى ببيان أنه مخالف لما عليه اليهود والنصارى، وذلك إمعانًا في البيان والتوضيح الذي يزول معه كل اشتباه ولبس.

٢٦٨- تفيد إبطالًا إجماليًا لعقائد اليهود والنصارى، وكأن هذا يقوم مقام التهيئة والمقدمة لما سوف يأتي من تفصيل واحتجاج واستدلال قرآني على إبطال تلك العقائد على وجه التفصيل.

٢٦٩- تفيد الآية الكريمة أن من أخطر ما يتعرض له الإنسان هو أن يكون من المغضوب عليهم وأن يكون من الضالين.

٢٧٠- تفيد الآية التأكيد والإشعار بأن الصراط المستقيم تفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لهم بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده.

٢٧١- تفيد أن الاستدلال بالمشاهد أقوى في الاحتجاج والإقناع وتثبيت المعلومات، فإن الله تعالى جعل من صفات هذا الصراط أنه مخالف لما عليه اليهود والنصارى، - وهم أمم علمهم المسلمون وشاهدوهم وما يزالون يشاهدون ويعلمون حالهم بالمعاصرة -.

٢٧٢- تفيد بيان فضيلة العلم النافع والعمل به، وأن النجاة والهداية قوامها العلم النافع والعمل الصالح، فالذين أنعم الله عليهم جمعوا بينهما.

٢٧٣- تفيد أن حذف فاعل الغضب من الإشعار بإهانة المغضوب عليه وتحقيره وتصغير شأنه ما ليس في ذكر فاعل النعمة من إكرام المنعم عليهم والإشادة بذكره ورفع قدره.

٢٧٤- تفيد أن ذكر المغضوب عليهم والضالين، دون تسمية اليهود والنصارى، يشير إلى أن التحذير ليس مختصا بالتحذير من اليهود والنصارى كجماعات، بل المراد التحذير من مناهجهم في التعامل مع العلم والعمل، وهي مناهج فاسدة أفضت بهم إلى الوقوع في شراك الضلال بأنواعه.

٢٧٥- تفيد أن أخطر مسلكين فاسدين ينبغي على سالك طريق الاستقامة أن ينتبه لهما هما: مسلكا اليهود والنصارى.

٢٧٦- تفيد إثبات أن اليهود والنصارى كانوا أهل أديان صحيحة، إلا أن أصولهم الشرعية فسدت، وتحرفت كتبهم جراء ممارساتهم.

٢٧٧- تفيد أن طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم والعمل به بخلاف طريقة اليهود الذين فقدوا العمل والنصارى الذين فقدوا العلم.

٢٧٨- تفيد وصف الصراط بكونه صراط الذين أنعم الله عليهم، صحة وسلامة الاحتجاج بمذهب السلف، وكونهم الأعلم والأسلم طريقة، فإن من أنعم الله عليهم هم النبيون وأتباعهم من الصديقين والشهداء والصالحين، ممن ثبتوا على الحق وماتوا عليه.

٢٧٩- يفيد ذكر المغضوب عليهم والضالين، دون تعيين اليهود والنصارى، تحرزا واحتياطا من إدخال عباد الله الصالحين من أمم اليهود والنصارى.

٢٨٠- يفيد عدم الحكم على الجماعات والفرق وذمها إجمالا وبمعزل عن إيضاح سبب القدح، بل ينبغي أن يرافق ذلك تفصيل وبيان حول الممارسات المفضية إلى الانحراف، وبيان سبب إسقاط هذه المجموعات والطعن فيها.

٢٨١- تفيد أن المنعم عليهم من السابقين (النبيين والصديقين والشهداء والصالحين)، كانوا جميعا على أصل مشترك ودين واحد، قوامه الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، وإن اختلفت شرائعهم.

٢٨٢- تفيد التأكيد على الولاء للمؤمنين، بمحبة منهجهم والتزام طريقتهم، وإن تباعدت أعصارهم، والبراءة من طريقة المخالفين.

٢٨٣- تفيد أن التزام الحق يقتضي «تحلية» و«تخلية»، فلا يكون العبد مستمسكا بالصراط المستقيم إلا بتحليه بنهج الذين أنعم الله عليهم، وتخلية عما يجانبه من سبل المغضوب عليهم والضالين.

٢٨٤- تفيد أن الاهتداء إلى الصراط المستقيم يكون بالآتي:

١- الدعاء.

٢-العمل بمنهج النبوة من توحيد واتباع وتزكية.

٣-الصدق والإخلاص والاستعانة.

٤- البذل والعطاء لكلِ غالٍ ونفيسٍ في سبيل الله وعلى رأسها المهج.

٥- مصاحبة الأخيار والاقتداء بنهجهم.

فائدة (١): يقول ابن القيم -رحمه الله-: «كثيرًا ما كنت أسمع (شيخ الإسلام ابن تيمية) -رحمه الله - يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تدفع الرياء، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تدفع الكبرياء، فإذا عُوفي من مرض الرياء، بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ومن مرض الكبرياء والعُجْب بـ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ومن مرض الضلال والجهل بـ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، عوفي من أمراضه وأسقامه ورفل في أثواب العافية وتمت عليه النعمة، وكان من المنْعَم عليهم، ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وهم أهل فساد القصد: الذين عرفوا الحق وعدلوا عنه، ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ وهم أهل فساد العلم، الذين جهلوا الحق ولم يعرفوه، وحُقّ لسورة تشتمل على هذين الشفاءين: أن يُستشفىٰ بها من كل مرض.

فائدة (٢) حول تكرار الصراط: قال تاج القراء الكرماني -رحمه الله-: « قَوْله تَعَالَى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ كرر ﴿الصِّرَاطَ﴾.... وَذَلِكَ أَن الصِّرَاط هُوَ الْمَكَان المهيأ للسلوك فَذكر فِي الأول الْمَكَان، وَلم يذكر السالكين، فَأَعَادَهُ مَعَ ذكرهم فَقَالَ: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾أَي الَّذِي يسلكه النَّبِيُّونَ والمؤمنون. ويوضح هذه الفائدة ما ذكره الرازي -رحمه الله- بقوله: « لَمَّا قَالَ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لَمْ يَقْتَصِرْ عَلَيْهِ، بَلْ قَالَ: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ذَلِكَ لِأَنَّ النَّقْصَ غَالِبٌ عَلَى أَكْثَرِ الْخَلْقِ، وَعُقُولَهُمْ غَيْرُ وَافِيَةٍ بِإِدْرَاكِ الْحَقِّ وَتَمْيِيزِ الصَّوَابِ عَنِ الْغَلَطِ، فَلَابُدَّ مِنْ كَامِلٍ يَقْتَدِي

بِهِ النَّاقِصُ حَتَّى يَتَقَوَّى عَقْلُ ذَلِكَ النَّاقِصِ بِنُورِ عَقْلِ ذَلِكَ الْكَامِلِ، فَحِينَئِذٍ يَصِلُ إِلَى مَدَارِجِ السَّعَادَاتِ وَمَعَارِجِ الْكَمَالَاتِ).

فائدة (٣): قال الزُّرقاني –رحمه الله–: « تقسيم الخلق بالنسبة إلى هذه الهداية ثلاثة أقسام تنبيهًا وإغراءً على المقصود وتحذيرًا وتنفيرًا من الوقوع في نقيض هذا المقصود ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ وإذا الناس أمام عينيك بين منعم عليه بمعرفة الحق واتباعه ومغضوب عليه بمخالفة الحق مع العلم به وضال رضي أن يعيش عيشة الأنعام في متاهة الجهالة والحيرة والضلال لا يكلف نفسه عناء البحث عن الحق ليتشرف بمعرفته ويسعد باتباعه».

فائدة (٤): إضافة الشر لله تعالى في الكتاب والسنة على ثلاثة وجوه جُمعت في الفاتحة:

قال شيخ الإسلام: « الشَّرَّ لَمْ يُضَفْ إلَى اللَّهِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ إلَّا عَلَى أَحَدِ وُجُوهٍ ثَلَاثَةٍ: إمَّا بِطَرِيقِ الْعُمُومِ، كَقَوْلِهِ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيءٖ﴾[الزمر: ٦٢] وَإِمَّا بِطَرِيقَةِ إضَافَتِهِ إلَى السَّبَبِ كَقَوْلِهِ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾[الفلق: ٢] وَإِمَّا أَنْ يُحْذَفَ فَاعِلُهُ كَقَوْلِ الْجِنِّ: ﴿وَأَنَّا لَا نَدرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلأَرضِ أَم أَرَادَ بِهِم رَبُّهُم رَشَدٗا﴾[الجن:١٠] وَقَدْ جَمَعَ فِي الْفَاتِحَةِ "الْأَصْنَافَ الثَّلَاثَةَ " فَقَالَ: ﴿ٱلحَمدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلعَٰلَمِينَ﴾ وَهَذَا عَامٌّ وَقَالَ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم﴾ فَحَذَفَ فَاعِلَ الْغَضَبِ. وَقَالَ: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فَأَضَافَ الضَّلَالَ إلَى الْمَخْلُوقِ». مجموع الفتاوى (٨/ ٥١١).

فائدة (٥): ولما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم، أجلَّ المطالب لنيل أشرف المواهب، علَّم الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدِّموا بين يدي الدعاء حمده سبحانه، والثناء عليه، وتمجيده، ثم ذكرهم عبوديته وتوحيده، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم:

١) توسل إليه سبحانه بأسمائه وصفاته.٢) توسل إليه بعبوديته والاستعانة به سبحانه.

وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء، وقد اشتملت سورة الفاتحة في نصفها الأول على هذين النوعين من التوسل، ثم كان الدعاء بعدهما في النصف الثاني، بطلب الهداية من الله تعالى، وسلوك طريق الذين أنعم الله عليهم بالاستقامة والسعادة في الدارين.

وقد جمعت سورة الفاتحة بين التوسل بالحمد والثناء، والتوسل بالتوحيد والعبودية، ثم جاء سؤال أهم المطالب، وهو طلب الهداية بعد هاتين الوسيلتين، فالداعي حينئذ حقيق بالإجابة بمحض فضل الله تعالى عليه.

فنصف سورة الفاتحة الأول يشتمل على نوعي التوسل المشروع؛ وهما: التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته، والتوسل إليه سبحانه بالعبادة والعمل الصالح، وقد جاء النوع الأول في حمد الله تعالى والثناء عليه وتمجيده. وجاء النوع الثاني في توجه العبد بعبادته إلى الله وحده واستعانته به سبحانه، وبعد ذلك يكون العبد حريًا بإجابة الدعاء، وقد طلب من ربه أن يهديه إلى أعدل الطرق وأقومها، ويبعده عن طريق أهل الغضب والضلال، بعد أن قدم بين يدي ربه دواعي الإجابة، فيكون جديرًا بالهداية.

فائدة (٦): بين ابن القيم (من تفسير سورة الفاتحة له بتصرف) أن الهديات على عشرة مراتب:

١- تكليم الله تعالى يقظةً بلا واسطة، كتكليم موسى عليه السلام، وفي ذلك هداية خاصة له.

٢- مرتبة الوحي المختصة بالأنبياء، وفيها هدايتهم للاقتداء بهم.

٣- مرتبة إرسال الرسل لهداية البشر بعد اجتبائهم واصطفائهم.

وهذه المراتب الثلاث، هداية خاصة بالأنبياء؛ بتكليمهم، والوحي إليهم، وإرسالهم.

٤- مرتبة التحديث، أي: الإلهام والتوفيق والسداد، وهي هداية من الله تعالى كحديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لقد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في هذه الأمة، فعمر بن الخطاب » (أخرجه البخاري).

٥- مرتبة الإفهام، كقوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنبياء: ٧٩] وهي نوع هداية.

٦- مرتبة بيان الحق وتمييزه من الباطل، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٥].

٧- مرتبة البيان الخاص المستلزم للهداية الخاصة، كقوله تعالى: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [النحل: ٣٧].

٨- مرتبة الإسماع، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾[الأنفال: ٢٣].

٩- مرتبة الإلهام، كقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[الشمس:٧-٨].

١٠- مرتبة الهداية بالرؤيا الصادقة، وهي جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة.

بحمد الله تعالى

وبهذا تمت سورة الفاتحة في ٢٨٤ هداية

بتاريخ ١٤٣٧/١٢/٢١هـ

ولله الحمد والمنة ومنه التوفيق والعصمة.

تلخيص: د. أحمد رشاد